

جامعة بغداد دخلت التصنيف رغم الأزمات والظروف ونحن للأسف لم ندخل!

وزارة التعليم العالي مطالبة بوضع إستراتيجية للنهوض بجامعاتنا



أ. د. وائل معلا

صدر مؤخراً تصنيف جريدة التايمز البريطانية لأفضل الجامعات العالمية لعام ٢٠١٩ الذي تضمن تصنيفاً لأفضل ألف ومئتي جامعة في العالم. ويعتمد هذا التصنيف بشكل أساسي على خمسة معايير هي: التعليم، والبحث العلمي، والاستشهاد citations، والدخل الذي تحققه الجامعات من الصناعة، والظهور على الساحة الدولية. وكما في العام الماضي، تصدرت الجامعات البريطانية والأمريكية قوائم التصنيف، لكن بعضاً منها تراجع تصنيفه، في حين أظهرت الجداول تصنيفاً ملحوظاً في تصنيف الجامعات الآسيوية وخاصة الجامعات الصينية، في حين لا تزال جامعات أمريكا اللاتينية وإفريقيا تتكافح لتحسين موقعها.

جامعة بغداد تدخل التصنيف

أما بالنسبة للمشهد العربي، فقد دخلت جامعة بغداد التصنيف العالمي للمرة الأولى رغم الظروف الصعبة التي مر بها العراق الشقيق. كذلك تضمنت قوائم التصنيف لهذا العام تسعة عشر جامعة مصرية، وست جامعات جزائرية، وأربع جامعات مغربية، إضافة إلى لأسف لم تتضمن أي جامعة سورية. وهنا لا يسعنا إلا أن نشاهد مرة أخرى عن سبب غياب الجامعات السورية عن قوائم التصنيف، وخاصة جامعة دمشق العريقة بتاريخها والتي مضى على تأسيسها قرابة قرن من الزمن، على الرغم من وجود جامعات حديثة نسبياً لم يرض على وجودها على الساحة الدولية سوى بضع سنوات.

لعل من المفيد استعراض مشهد التعليم العالي الدولي للتعرف على مواقع جامعاتنا عالمياً، ومتابعة تطور مواقع الجامعات العالمية على الساحة المحلية والدولية، والجهود التي تبذلها لتحسين مواقعها في ظل منافسة عالمية شديدة، وعسى أن يشكل ذلك حافزاً لوضع إستراتيجيات وخطط عمل للنهوض بجامعاتنا كي تأخذ الموقع الذي تستحقه ضمن هذا المشهد.

إفريقيا لها حصة كبيرة

تصدرت جامعات جنوب إفريقية تصنيف الجامعات الإفريقية، وتصدرت جامعة كيب تاون تسع جامعات جنوب إفريقية ظهرت ضمن التصنيف العالمي، واحتلت المرتبة ١٥٦ عالمياً، تليها جامعة ويتواترسراند المصنفة ضمن النطاق ٢٠١-٢٥٠، وجامعة ستيلينبوش التي ولفت للنظر أن مصر أصبح لديها ١٩ جامعة ضمن التصنيف العالمي للجامعات، وعلى رأسها الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وجامعات تدخل التصنيف لأول مرة هما جامعة بنها وجامعة بني سويف، إضافة إلى جامعتي كفر الشيخ والمنصورة، وكلها يقع في المجال ٢٠١-٨٠٠ من التصنيف، أما جامعة القاهرة فقد جاءت في النطاق ٨٠١-١٠٠٠، وكذلك جامعة الإسكندرية.

وكان للجزائر ستة مواقع في التصنيف، لكن أياً منها لم يقع ضمن أفضل ٨٠٠ جامعة، أما المغرب فليدها أربع جامعات، في حين حصلت جامعات كل من نيجيريا وتونس على ثلاثة مواقع لكل منها، في حين كان لكل من غانا وكينيا وتنزانيا وأوغندا مؤسسة واحدة لكل منها.

اليابان أول آسيا

كان لجامعات اليابان التصيب الأكبر من الجامعات الآسيوية، وتجاوزت اليابان للمرة الأولى المملكة المتحدة كدولة أكثر تمثيلاً في القائمة بعد سنوات من التراجع والركود، وتحسن ترتيب الجامعتين الرادتين في اليابان تحسناً ملحوظاً، فصعدت جامعة طوكيو أربعة مراكز لتحتل المركز ٤٢ هذا العام متخطية بذلك عدداً من الجامعات المرموقة كجامعة ماكجيل McGill University الكندية، وجامعة ميونخ التقنية في ألمانيا، وجامعة هونغ كونغ للعلوم والتكنولوجيا. ويعود سبب ارتفاع جامعة طوكيو في جدول التصنيف إلى التحسن الكبير في مجالها التدريسي والبحث العلمي، وإلى علاقتها الوثيقة مع القطاع الصناعي. وفي الوقت نفسه، قفزت جامعة كيوتو UniveSty Tokyo تسعة مراكز لتحتل هذا العام المرتبة ٦٥ عالمياً.

واحتلت الصين المرتبة الرابعة في قائمة أكثر الدول تمثيلاً على مستوى العالم، حيث ضمت القائمة ٧٢ جامعة صينية. واحتفظت سبع جامعات صينية بمواقعها في قائمة النخبة أي ضمن أفضل مئتي جامعة، وحلت جامعة تسينغهاو بأدائها المتميز محل جامعة بكين كأفضل جامعة صينية وثبوت المرتبة ٢٢ عالمياً، في حين تراجعت جامعة بكين إلى المرتبة ٣١. ويعود سبب التقدم الكبير الذي شهدته جامعة تسينغهاو هذا العام إلى تحسن كبير في بيئة التدريس وزيادة كبيرة في إنتاج البحوث العلمية بما يتجاوز إنتاج جامعات أمريكية عريقة كجامعتي برينستون وويل ومعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT).

مكاسب الجامعات الآسيوية

ومع أن العديد من الجامعات الآسيوية حققت مكاسب مهمة هذا العام، إلا أن غالبية الجامعات الهندية راوحت مكانها أو تراجعت، وهي تتكافح في ظل تزايد المنافسة العالمية، إذ غابت الجامعات الهندية عن قائمة أفضل مئتي جامعة في العالم، وجاء المعهد الهندي للعلوم Indian Institute of Science ضمن النطاق ٢٥١-٣٠٠ في جداول التصنيف، وهذا أعلى تصنيف حققته جامعة هندية ضمن قائمة هذه العام. أما سنغافورة وهي دولة لا تتجاوز مساحتها ٧٢١ كم^٢ فليدها جامعات ضمن قائمة أفضل مئة جامعة في العالم، علماً أن جامعة سنغافورة الوطنية حصلت مرتبة واحدة لتصيب ٢٣ عالمياً، على حين ارتفعت جامعة نانينج التكنولوجية إلى المرتبة ٥١ عالمياً.

العلوم والآداب الفرنسية

وفي فرنسا، كانت جامعة باريس للعلوم والآداب Paris Sciences et Lettres PSL - أول مؤسسة فرنسية تدخل في قائمة أفضل ٥٠ جامعة في العالم منذ عام ٢٠١١. والجدير بالذكر أن هذه الجامعة تأسست عام ٢٠١٠ نتيجة دمج ٢٥ مؤسسة من مؤسسات التعليم العالي والمؤسسات البحثية الواقعة في منطقة باريس. وقد حققت جامعة السوربون ثاني أفضل تصنيف للجامعات الفرنسية، في حين حلت في المركز الثالث والسبعين. واحتفظت سبع جامعات فرنسية تأسست عام ٢٠١٨ ونتجت عن اندماج جامعتي بيير وماري كوري وجامعة باريس- السوربون Paris-Sorbonne University مع عدد من الجامعات الأصغر حجماً.

أما ألمانيا فلا تزال الدولة الثالثة الأكثر تمثيلاً في قائمة أفضل ٢٠٠ جامعة في العالم، وتضم ٢٣ جامعة، ولديها ٤٧ جامعة في الترتيب العام، بقيادة جامعة لودفيغ ماكسيميليان (ميونخ) التي حققت المرتبة ٣٢ عالمياً، وأما سويسرا، فقد منحت بخصية أمل كبيرة جراء تراجع المعهد الفدرالي السويسري للتكنولوجيا في زيورخ ETH Zurich ضمن المركز العاشر إلى المركز الحادي عشر عالمياً! في حين قفزت جامعة زيورخ-ETH Zurich إلى المرتبة ٤٦، وجامعة لودفيغ ماكسيميليان إلى المركز ٩٠ عالمياً، ولدى سويسرا عشر جامعات في قائمة تايمز لأفضل الجامعات العالمية، يقع سبع منها في قائمة النخبة، وهي قائمة تضم أفضل ٢٠٠ جامعة عالمياً.

روسيا تزيد حضورها

زادت جمهورية روسيا الاتحادية من حضورها في قائمة هذا العام - مع وجود ٣٥ جامعة ومؤسسة تعليم عال روسية ضمن الجداول، أي زيادة ٨ جامعات عن العام الماضي. واحتفظت جامعة لومونوسوف موسكو الحكومية Lomonosov Moscow State University، وهي الجامعة الرائدة في روسيا، بمكانتها البارزة ضمن أفضل مئتي جامعة في العالم، لكنها تراجعت خمسة مراكز عن ترتيب العام الماضي لتحتل المركز ١٩٩ عالمياً. واحتفظ معهد موسكو للفيزياء والتكنولوجيا بموقعه ضمن أفضل ٣٠٠ جامعة عالمية وكثاني أفضل مؤسسة في البلاد، كما انضمت المدرسة العليا للاقتصاد إلى نطاق ٣٠١-٣٥٠. وكذلك استمرت الجامعة الوطنية للبحوث النووية National Nuclear Research University MEPhI في الارتفاع، لتصل إلى النطاق ٣٥١-٤٠٠ بعد أن ادخلت تحسينات على محاور التعليم والتعلم، والبحوث العلمية، والتعاون الدولي.

إيران حاضرة علمياً

إيران هي الدولة الأكثر تمثيلاً في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من حيث عدد الجامعات في تصنيف تايمز للتعليم العالي لعام ٢٠١٩. فقد تضمنت قائمة التصنيف ٢٩ جامعة إيرانية، على حين كان عدد الجامعات الإيرانية ١٨ جامعة في تصنيف العام الماضي، وعلى الرغم من أن مؤسستها التعليمية الرائدة،

تصنيف تايمز لأفضل الجامعات العالمية لعام ٢٠١٩.. أين جامعاتنا؟

جامعة بغداد دخلت التصنيف رغم الأزمات والظروف ونحن للأسف لم ندخل!

وزارة التعليم العالي مطالبة بوضع إستراتيجية للنهوض بجامعاتنا

إيران الدولة الأكثر تمثيلاً في جامعات الشرق الأوسط وشمال إفريقيا

المواهب والكفاءات العلمية للعمل لديها أو للدراسة فيها وتضع في سبيل تحقيق ذلك أفضل الجامعات. وإذا كانت جامعات العالم تبذل الجهد الدؤوب لتحسين منزلتها العلمية على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي، فالجهد بجامعاتنا أن نخذ حذوها، إذ من غير المقبول على الإطلاق ألا يكون لأي من جامعاتنا، وخاصة جامعة دمشق التي مضى على تأسيسها ما يقارب القرن، أي موقع في قائمة تصنيف أفضل ١٢٠٠ جامعة في العالم، على حين تتضمن هذه القائمة جامعات أقل عراقية كجامعة بني سويف (التي تأسست عام ١٩٨١)، وجامعة بنها (التي تأسست عام ١٩٧٦)، وجامعة كفر الشيخ (التي تأسست عام ٢٠٠٦) (مع احترامنا وتقديرنا لجميع الجامعات وللجهود الكبيرة والمضرة التي تبذلها لتحقيق هذا التقدم على المستوى العالمي.

كندا ونصيب وافر

أما كندا، فليدها ٢٧ مؤسسة تعليم عال في قائمة ٢٠١٩. وجاءت جامعة تورونتو University of Toronto مرة أخرى على رأس الجامعات الكندية. وصنفت جامعة مونترال University of Mon-treal ضمن أفضل مئة جامعة عالمياً لأول مرة منذ عام ٢٠١٣، حيث ارتفعت مرتبة لتتبع المركز ٩٠، وانضمت ثلاث جامعات كندية أخرى لأفضل ٢٠٠ جامعة هذا العام، وهي جامعة أوتاوا University of Ottawa في المركز ١٧٦؛ والجامعة الغربية Western University في المركز ١٩٠؛ وجامعة كاليفورنيا University of Cal-gary في المركز ١٩٩. ويقول بوفويل إن كندا لديها فرصة فريدة في مشهد التعليم العالي العالمي، إذ أصبحت أكثر انفتاحاً على العالم مقارنة ببريطانيا والولايات المتحدة اللتين أصبحتا أكثر انغلاقاً. ومن المرجح أن تؤدي المبادرات الحكومية الرامية إلى زيادة عدد الطلاب الأجانب وتقديم دعم إضافي لهم إلى تحسين قطاع التعليم العالي القوي بالفعل.

جامعة بوبول نوشيرفاني للتكنولوجيا Babol Noshirvani University of Technology، انزلت من المرتبة ٤٠٠ عالمياً في هذا العام، إلا أنها ما زالت تتصدر الجداول العالمي من حيث تأثير الاستشهادات البحثية (citations impact). وهذا يشير إلى أن هذه الجامعة، على الرغم من أنها ليست مؤسسة بحثية عالمية كبرى، قد أنتجت العديد من الأوراق البحثية التي يُستشهد بها بكثرة في البحوث العلمية هذا العام. وأما العراق فقد دخل هذا العام جدول التصنيف لأول مرة منذ ١٥ عاماً، فقد صنفت جامعة بغداد ضمن أفضل ألف جامعة في العالم وجاءت في النطاق ١٠٠٠-١٠٠٠٠، وكانت أهم نقاط القوة لديها تأثير الاستشهادات (ci-tations impact) والتعاون البحثي الدولي.

الولايات المتحدة أكثر تمثيلاً

وتبقى الولايات المتحدة الدولة الأكثر تمثيلاً في جدول تايمز لتصنيف الجامعات لعام ٢٠١٩ حيث مثلت ١٧٢ جامعة، مع أن أغلبية جامعاتها (١٣٠ جامعة) بقيت مكانها أو تراجعت في جدول الترتيب. صحيح أن ستين جامعة أميركية تقع ضمن مجموعة أفضل ٢٠٠ جامعة في العالم، إلا أن عددها كان في العام الماضي ٦٢ جامعة.

جاءت جامعة ستانفورد في المرتبة الثالثة من حيث الأداء بعد جامعتي أكسفورد وكامبريدج البريطانيتين، لكن معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا-California Institute of Technology في العام الماضي، والذي جاء على رأس قوائم التصنيف بين عامي ٢٠١٢ و٢٠١٦، فقد المزيد من النقاط هذا العام، وانخفض مرتبتين إضافيتين ليحتل المركز الخامس. وحققت جامعة هارفارد Harvard University المرتبة السادسة في التصنيف العام، والمرتبة الثالثة في معيار البحث العلمي (بناء على معايير الحجم والدخل والسعة)، وأنت خلف جامعة أكسفورد التي تصدرت هذا المعيار، وكذلك خلف جامعة كامبريدج، ويري إيني بوفويل Ellie Bothwell، محرر التصنيفات العالمية في ملحق التعليم العالي بجريدة التايمز، أن مكانة جامعات الولايات المتحدة يمكن وصفها بأنها في حالة «ركود»، أو في حالة «انخفاض تدريجي متواضع». حيث يمكن أن تؤدي التخفيضات في تمويل التعليم العالي، والتشدد في سياسات الهجرة، والمنافسة العالمية المتزايدة إلى تأكل هذه المكائنة أكثر.

أميركا اللاتينية

استطاعت البرازيل أن تحقق أعلى حضور لها على الإطلاق، على الرغم من المنافسة الدولية المتنامية، إذ نجد ٣٦ جامعة برازيلية في ترتيب هذا العام أي زيادة مقدارها ٣٢ جامعة عن تصنيف العام السابق، وعلى رأسها جامعة ساو باولو التي احتلت موقعاً لها ضمن النطاق ٢٥١-٣٠٠. وللمكسيك ١٧ جامعة في الترتيب العالمي، أي زيادة مقدارها ٦ جامعات عن تصنيف العام السابق، ومع ذلك فإنها تواجه تحديات خطيرة بما في ذلك استنزاف المواهب ومدودية التحويل العام. أما التشيلي فلديها ١٦ جامعة بزيادة ثلاث جامعات؛ وهناك سبع جامعات كولومبية، وخمس جامعات أرجنتينية، والبيرو لديها جامعتان.

أين استراتيجيتنا؟

إن وزارة التعليم العالي مطالبة اليوم بوضع خطة عمل إستراتيجية للنهوض بجامعاتنا وتحسين ترتيبها العالمي، وأن توفر لهذه الخطة كل مستلزمات النجاح، وأن تضع هدفاً إستراتيجياً تسعى كل الجامعات لتحقيقه، ويمكن استلهام من الخطة عملية (٥ - ١٠٠) التي تنص على تحسين المنزلة العالمية للجامعات الروسية بحيث تكون أفضل مؤسسات تعليم عال ضمن أفضل ١٠٠ جامعة في العالم بحلول عام ٢٠٢٠. ونحن لا نقترح نسخ هذا الهدف وتحقيقه بحذافيره، ولكن يمكن أن ننص على خطة وطنية الإستراتيجية على أنه بحلول عام ٢٠٢٥ على سبيل المثال يجب ألا يقل عدد الجامعات السورية التي تصنف ضمن أفضل ٥٠٠ جامعة في العالم عن خمس جامعات، ويمكن أن نسمي هذه الخطة خطة العمل ٥٠٠-٥٠٠، التي يمكن أن تلها الخطة ١٠-٥٠٠، والتي تتضمن ألا يقل عدد الجامعات السورية التي تصنف ضمن أفضل ٥٠٠ جامعة في العالم عن عشر جامعات بحلول عام ٢٠٣٠. ويجب أن يشكل فريق عمل متابعة تنفيذ هذه الخطة مع إدارات الجامعات، ولا بد كذلك من توفير كل مستلزمات نجاحها، وإذا كانت جامعاتنا أقل عراقية من جامعاتنا استطاعت أن تطور أداءها بحيث تحتل مكانتها ومرتبته العلمية على مستوى العالم. وفي تحقيق ذلك فهي تبذل العمل لتضع الإستراتيجيات وخطط العمل، والتطور في جميع المجالات، أي في بيئتها التعليمية، والبحث العلمي، والشراكات العلمية مع الصناعة وأرباب العمل، والظهور على المستوى العالمي، كذلك فهي تتنافس على استقطاب أفضل

التنافس في التعليم العالي

يلاحظ من مشهد التعليم العالي العالمي مدى التنافس الشديد القائم بين مؤسسات التعليم العالي في العالم في سعيها لتحسين مكانتها ومرتبته العلمية على مستوى العالم. وفي تحقيق ذلك فهي تبذل العمل لتضع الإستراتيجيات وخطط العمل، والتطور في جميع المجالات، أي في بيئتها التعليمية، والبحث العلمي، والشراكات العلمية مع الصناعة وأرباب العمل، والظهور على المستوى العالمي، كذلك فهي تتنافس على استقطاب أفضل

العين والمعتقد الشعبي: عين الحسود فيها عود

عين المحب من عين العزول تبان أي تظهر. ويجدر بنا الإشارة إلى شعور المرء ببرودة العين عندما تقع عيناه على إنسان أثر على قلبه.. ولذلك فإن المرء يعبر عن محبة إنسان آخر بقوله: عيني عليك باردة. وبالطبع؛ فإن القصد من ذلك القول.. أن يحفظ الله ذلك الإنسان من كل مكروه، فضلاً عن ذلك فقد كان العديد من الناس، إلى عهد قريب، يرون أن العين طماعة، ولا يشبعها إلا التراب ونجد في القصص الشعبية ما يشير إلى ذلك، ومن ذلك: أن عبنا وضعت بكفة ميزان، ووضع بكفة الميزان المقابلة أو الأخرى ما لا يقدر الميزان والمجوهرات فلم يعادل ذلك كله وزن العين -وعندما وضعوا بكفة الميزان (التي وضعت بها المجوهرات) كمية من التراب، تساوت كفتا الميزان، فقالوا:

شعرها قليل أو خفيف حول أنثيها، وقد يكون ذلك الخوف أكثر من الخوف من نظرة عين الحاسد أو نظرة ذات الأسنان الأمامية المتباعدة بفهما! ومن أمثلة ذلك ما لاحظته بالسجلات التاريخية الكلدانية والفارسية والمصرية واليونانية، كما عرفت العرب بالحصص الجاهلي، ولا يزالون يشتم أقاربهم دور (العين الشريرة الحاسدة، والعمل على الوقاية يشتم الأساليب التقليدية. ولعل من الممكن القول، والحال هذه بارتباط العين بجملة من المعتقدات الشعبية التي جعلت جانباً من حياة الإنسان يحبه ويحنو إليه، وجانباً آخر يتحاشاه لأثاره السلبية، وهذا جعل الإنسان يميز بين قوى الخير، وقوى الشر.

ونذكر على سبيل المثال، إن المرء إذا كان معكر المزاج فإن ذلك يعود إلى الوجه أو الإنسان الذي صاحبه لذلك يقولون عن حال هذا الرجل: أبصر بوجه من متصحب. مولوداً ذكراً أي صبياً، على عدد من البنات، أن تعدد الأم إلى إطلاق اسم أنثوي على الطفل غير اسمه الحقيقي بلده سواراً، وفي عهقه طوقاً من الخرز أو العقيق.



الحياة المعاصرة مملوءة بالمطيرين والمعتدين بالحسد

بنظرة امرأة أخرى، إلى أخذ شيء من ثياب تلك المرأة، وتعمد إلى حرقتها، كناية عن حرق تلك المرأة الحاسدة. ويمكن أن نضيف إن من الأمهات من كانت تتخوف من نظرة المرأة التي

وضع خرزة زرقاء على صدر وليدها أو على غطاء رأسه، وقد تضع الأم أيضاً لوليدها، أجد الأحجار الكريمة كالعقيق والخرز لرد نظرة عين الحاسد عن طفلها فضلاً عن ذلك، قد تعمد الأم التي تشك

أحد.. ومنهن من يعمدن إلى تعاويذ تستجد بقوى ما وراء الطبيعة لأن العين حقها حتى بالحجر، وخوفاً من أني نظرة العين كان من الأمهات من تعمد إلى

مدير كيبال يدل المعتقد الشعبي على تكيف الإنسان مع البيئة بحدود ثقافته ووعيه، لتكون هذا المعتقد يحمل إرث الشعب، من أصالة وحضارة.. أكان ذلك بالقول أم بالعمل، وذلك بإطار التقاء الماضي بالحاضر والفكر تبدو غريبة بمعطيات الحياة المعاصرة فقد كانوا يتطيرون من حضور المرء الذي عيناه زرقاوان وأسنانه الأمامية متباعدة، ويقول في ذلك: عيونته زرق وسنانه فرق وكانوا يقولون إذا نظرت إحداهن من ذات العيون الزرق والسنان الفرق إلى الوليد أو نحو ذلك:

حصنتك بآيات الله. من العين المذبذبة (من الأذى) وقد يتبعون ذلك بقولهم: «حندق بنديق، عين تشوفك وما تصلي على النبي (ص) تطلق وتنبق» أي تخرج من محجرها ومن أديعتهم التي يعتقدون أنها ترد العين: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة وعين لامة. ثم يصلون على النبي (ص) بقولهم: بسم الله وما شاء الله، لا قوة إلا بالله، اللهم صلني على النبي خيرت العين». «يا ناظرًا في نظرة حسد، شكيتك لوحد المعاصرة.